المشهد
تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر «ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى
الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى . الدقى
ت: ٣٧٧٢٢٠٣٤ـ ـ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash-had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 352 – السنة الرابعة عشرة - الجمعة 15 مايو 2026 م - 28 ذو القعدة 1447 هـ

الدلتا الجديدة بين الحسابات والشعارات

بقلم: إبراهيم خالد

في كل مرة يخرج مسؤول ليتحدث عن "المشروعات العملاقة"، نشعر أننا أمام موسم جديد من استعراض الأرقام، لا موسمًا لمصارحة الناس بالحقائق. أرقام بالمليارات، ملايين من فرص العمل، وقفزات اقتصادية خارقة، ثم يطلبون من المواطن أن يصفق قبل أن يسأل: "إزاي؟".

آخر ما قيل عن مشروع "الدلتا الجديدة" يفتح بابًا واسعًا للتساؤل، لا للتشكيك في فكرة التنمية نفسها، بل في طريقة تسويقها. الحديث يدور عن تكلفة تصل إلى ٨٠٠ مليار جنيه، ومشروع يوفر مليوني فرصة عمل، مع تكلفة استصلاح للفدان تتراوح بين ٣٥٠ و٤٠٠ ألف جنيه. هنا فقط، يتوقف العقل قليلًا ويطلب آلة حاسبة، لا أكثر.

لأن المشكلة الحقيقية ليست في ضخامة الرقم، بل في التناقض بينه وبين ما يعرفه الناس على الأرض. قبل سنوات، كانت تكلفة استصلاح الفدان تُقدّر بعشرات الآلاف، ثم فجأة أصبحنا نتحدث عن مئات الآلاف للفدان الواحد، دون شرح واضح ومقنع للرأي العام. هل ارتفعت أسعار المعدات؟ نعم. هل زادت تكاليف البنية التحتية والطاقة والمياه؟ بالتأكيد. لكن هل تضاعفت بهذا الشكل المرعب؟ هذا سؤال مشروع، لا ينبغي أن يُقابل بالتخوين أو الاتهام.

موسم جديد من استعراض الأرقام، لا موسمًا لمصارحة الناس بالحقائق

ثم نأتي إلى العبارة السحرية التي أصبحت لازمة ثابتة في أي مشروع: "يوفر ملايين فرص العمل". الحقيقة أن الزراعة ليست مصنعًا كثيف العمالة إلى هذا الحد. الفدان لا يحتاج عاملًا مقيمًا طوال العام، ولا مشروع استصلاح صحراوي يمكنه تشغيل إنسان لكل فدان بشكل دائم إلا إذا كنا نتحدث عن مدينة كاملة، لا أرض زراعية.

دعونا نتحدث بلغة الأرقام التي يحبها المسؤولون أنفسهم. إذا كان الفدان ينتج في المتوسط ما يحقق نحو ٩٠ ألف جنيه سنويًا، فهذا الرقم بالكاد يغطي تكاليف التشغيل الأساسية من بذور وأسمدة ومبيدات وري وطاقة ونقل ورواتب. فكيف لمشروع بهذه الطبيعة أن يتحمل رواتب ثابتة لملايين العاملين؟ ومن أين سيأتي العائد الذي يغطي كل هذه النفقات؟

المفارقة أن الأراضي الصحراوية ليست مثل أراضي الدلتا القديمة. الإنتاجية أقل، والمناخ أكثر قسوة، واستهلاك المياه والطاقة أعلى، والبنية التحتية أكثر تكلفة. أي أن الحديث عن أرباح ضخمة وتشغيل هائل يبدو أقرب إلى الشعارات منه إلى الحسابات الاقتصادية الدقيقة.

المواطن المصري لم يعد يرفض التنمية، كما يحاول البعض تصويره. بالعكس، الناس تتمنى نجاح أي مشروع حقيقي يضيف للاقتصاد ويوفر حياة أفضل. لكن المواطن أيضًا أصبح أكثر وعيًا، وأكثر قدرة على ملاحظة التناقض بين الواقع والخطاب الرسمي. لم تعد الأرقام الضخمة وحدها كافية لصناعة الإقناع.

المشكلة الأكبر أن الإفراط في إطلاق الأرقام الخيالية يفقد الناس ثقتهم حتى في الإنجازات الحقيقية. حين يسمع المواطن عن "تريليونات" و"ملايين فرص العمل" و"قفزات غير مسبوقة"، بينما حياته اليومية تزداد صعوبة، يبدأ تلقائيًا في التعامل مع كل تصريح باعتباره مادة للسخرية، لا للمناقشة.

في النهاية، الدول لا تُبنى بالخطب الحماسية، بل بالشفافية. والاقتصاد لا يتحسن بالأصفار الكثيرة، بل بالأرقام القابلة للتصديق. لأن أخطر ما يمكن أن يحدث لأي مجتمع، أن يتحول المنطق فيه إلى تهمة، والحساب إلى رفاهية.

صفقات السلاح .. الذهب الأمريكي الملعون!

بقلم: شريف سمير

مجرد قطع من الحديد ولكنها تمطر ذهبا .. فالحرب المشتعلة بين الولايات المتحدة وإيران تفتح الخزائن الأمريكية أمام مليارات الدولارات مقابل صفقات أسلحة متطورة استطاعت إدارة الرئيس دونالد ترامب أن تحسمها في الأيام الأخيرة للخروج من سباق التسلح والبحث عن الحماية الأمنية والغطاء العسكري بأكبر الغنائم والأرباح الفلكية .. واستغلت واشنطن حالة الاستنفار في الشرق الأوسط لعقد حزمة صفقات تعوض بها خسائر المعارك والضربات المتبادلة مع طهران على أرض الخليج .. وكانت آخر الصفقات موافقة الولايات المتحدة على بيع مروحيات عسكرية بقيمة تزيد عن ٤ مليارات دولار لكوريا الجنوبية .. وكان آخر الصفقات موافقة الولايات المتحدة على بيع مروحيات عسكرية بقيمة تزيد عن ٤ مليارات دولار لكوريا الجنوبية التي كانت قد تعهدت شراء مزيد من الأسلحة الأمريكية للدفاع عن نفسها ضد جارتها الشمالية.

موافقة الولايات المتحدة على بيع مروحيات عسكرية بقيمة تزيد عن ٤ مليارات دولار لكوريا الجنوبية

وكان ترامب قد حصل على تعهد من رئيس كوريا الجنوبية لي جاي ميونج خلال قمة عقدت في نوفمبر الماضي بأن تشتري سيول معدات عسكرية أمريكية بقيمة ٢٥ مليار دولار بحلول عام ٢٠٣٠، بالإضافة إلى دفع ٣٣ مليار دولار لدعم القوات الأمريكية في كوريا الجنوبية .. ويجسد قرار سيول هواية الرئيس الأمريكي المفضلة في ممارسة الضغوط والحصار على الحلفاء لزيادة الإنفاق الدفاعي، وحماية المصالح الأمريكية بأيدي وبنادق الآخرين.

وانطلقت طائرة الصفقات الأمريكية على طريق المساومة لتأمين منشآت الخليج الحيوية من إعلان بيع أسلحة بقيمة ١٦,٤٦ مليار دولار للإمارات العربية المتحدة والكويت، وهما أكثر دولتين تضررتا بشدة من تداعيات الحرب على إيران .. وكان القسط الأكبر من كعكة الصفقات من نصيب الكويت التي حصلت على رادارات استشعار للدفاع الجوي والصاروخي، مصممة لتتبع أهداف عالية السرعة وتزويد شبكة دفاع صاروخي ببيانات، وبلغت قيمتها ٨ مليارات دولار.

وفازت الإمارات بشراء رادار تمييز بعيد المدى يتتبع تهديدات الصواريخ البالستية، ومعدات ذات صلة بقيمة ٤,٥ مليارات دولار، فضلا عن أنظمة مصممة لإسقاط الطائرات المسيّرة الصغيرة بقيمة ٢,١ مليار دولار، وصواريخ جو-جو متطورة بقيمة ١,٢٢ مليار دولار، وذخائر وتحديثات لمقاتلات إف-١٦ بقيمة ٦٤٤ مليون دولار .. كما وافقت الوزارة على بيع طائرات وذخائر للأردن بتكلفة تقديرية تبلغ ٧٠,٥ مليون دولار .. ونجح وزير الخارجية الأمريكي ماركو روبيو في تمرير هذه الاتفاقيات العسكرية بعد أن قدم تبريرا مفصلا يفيد بوجود حالة طارئة تستدعي البيع الفوري لمعدات عسكرية، في تجاوز لشرط موافقة الكونجرس.

ويبقى السلاح صاحب الكلمة العليا والصوت الأكثر دويا عند اتخاذ القرار .. وقبل الحديث عن سبل المسار الدبلوماسي وصيغة الحل السياسي لأي حرب عالمية أو تصعيد إقليمي، يتعين قطع الطريق عن سيل الصفقات العسكرية التي تخفي وراءها مزيدا من المخاطر والأهوال التي تهدد أمن واستقرار العالم بأسره!.

اهداء من الفنان محمد عبداللطيف

المغربية حنان درقاوى تحطم التابوهات فى "الراقصات لا يدخلن الجنة"

تخترق الروائية والقاصة والمترجمة المغربية "حنان درقاوي" بجرأة شديدة التابوهات/ المحرمات الثلاثة المتمثلة فى الدين والجنس والسياسية فى روايتها "الراقصات لا يدخلن الجنة" (دار الفاصلة، طنجة)، وتدور أحداث الرواية (٤٧٣ صفحة) عن ثلاث راقصات الستريبتيز striptease"" مغربيات يعشن فى باريس. والستريبتيز/ التعرى هو نوع من الرقص غرضه الأساسى إثارة الغرائز الجنسية عبر تجرد الراقصات من ملابسهن قطعة وراء قطعة فى الملاهى الليلة المخصصة لذلك. ويشتبك القارئ مع النص منذ عتبته الأولى المتمثلة فى العنوان الذى يقدم مسلمة تبدو بدهية للكثيرين "الراقصات لا يدخلن الجنة" إلا أن المؤلفة داخل العمل تعمل بكل قوة على تفنيد تلك المسلمة ذات الصبغة الدينية وتفريغها من محتواها وصنع عملية من التغريب تجعل المتلقى ينظر نظرة مغايرة لما يبدو عاديا من معتقدات لديه، وألا ينظر إلى الأمور نظرة مسبقة دون الغوص فى التفاصيل التى من الممكن أن تغير ما هو قار فى وجدانه، كاشفة بصورة مأساوية ما يعانيه الراقصات فى حياتهن.

شرق وغرب

تقدم الرواية ثلاثة نماذج مختلفة لمغربيات اضطرتهن ظروف متباينة للعمل فى بار "ألف ليلة وليلة" فى حى بيغال بالدائرة العاشرة بباريس. الأولى هى آسية الطاهرى الطالبة فى السوربون تعد الماجستير فى الأدب الفرنسى عن الرومانسية والواقعية فى رواية مادام بوفارى لفلوبير، والثانية "سارة" صاحبة بار "ألف ليلة وليلة" جاءت إلى باريس وهى فى سن المراهقة بعد أن تزوجت أمها من فرنسي، أما الثالثة فهى "فاديا" الفتاة من الجيل الثانى من المهاجرين الأفارقة الذين يعيشون فى حى "الكرمة البيضاء" الجيتو الذى منحته فرنسا للمهاجرين وأهملته حتى تحول إلى قنبلة موقوتة تهدد فرنسا كلها وأصبح منبعًا للإرهاب وتجارة المخدرات ولا تستطيع دخوله الشرطة الفرنسية.

وترسم حنان درقاوى لكل شخصية من شخصياتها الثلاث عالمها الخاص المتفرد وسمات كل واحدة منهن النفسية والاجتماعية والجسمانية وكيف أثرت تلك السمات فى سلوكهن وتكوينهن الوجدانى ورؤيتهن للحياة، والمصير الذى آلت إليه كل شخصية من تلك الشخصيات الرئيسة فى العمل. آسية تلك الفتاة المغربية التى حلمت منذ طفولتها بالذهاب إلى باريس للهرب من اضطهاد أمها وإخوتها لها، سمراء نحيفة عانت من عدم التقدير لجمالها وما إن وصلت باريس لتعد أطروحتها للماجستير وجدت كثرا مبهورين بجمالها فكان ذلك سببا من أسباب استمرارها فى العمل فى الملهى الليلى لترى عيون الرجال الشبقة نحوها وهو ما حرمت منه فى بلادها. أما سارة فكانت تعانى فى المغرب من كونها "ابنة الحرام" أنجبتها أمهما من دون زواج وعانت من قمع أخوالها خشية أن تسير على نهج أمها التى تعمل ممرضة، وحين سافرت أمها إلى باريس التحقت بها وهناك عاشت حياة الضياع بعد أن أهملت تعليمها واختارت حياة الشارع والعمل فى الملاهى الليلية إلى أن منحها فى الأخير أحدهم الملهى الذى تديره "ألف ليلة وليلة". أما فاديا فهى ولدت فى أفقر أحياء باريس عاشت حياة متناقضة بين ما تسمعه وتراه فى المدرسة من أحاديث حول الحرية وقيم المجتمع الفرنسى وبين ما تعيشه فى البيت من قيم شرقية وقيود شتى لا تتناسب مع الواقع الفرنسى الذى تحيا فيه فى حى رفعت السلطات الفرنسية يدها عنه.

وأكثر ما تحرص عليه حنان درقاوى داخل عملها الروائى هو تحليلها النفسى للشخصيات وتقديم الدوافع لكل سلوك ينبع من كل شخصية من شخصيات الرواية الرئيسية منها والثانوية وربما يرجع تركيزها على ذلك إلى عملها كمحللة نفسية بعد حصولها على ماجستير علم النفس التحليلي.

شجاعة الطرح

وتتمتع رواية "الراقصات لا يدخلن الجنة" بجرأة شديدة فى مناقشة القضايا المتعلقة بالدين أو بالأحرى الفهم الخاطئ للدين الذى ترتب عليه ظلم المرأة فى المجتمعات العربية باسمه. وترى على لسان شخصية "آسية" طالبة الماجستير فى السوربون أن سبب تخلف المغرب والعالم العربى أن العرب قد فشلوا فى إنتاج دين متسامح قائلة "إنه فشل حضارة بكاملها فى إنتاج دين متسامح، لقد جزوا بالله فى خانة الجهاد وجعلوا هذا الأخير سادس أركان الدين، لا تستطيعين تغيير مجرى التاريخ تاريخنا الحالى يقود إلى الظلام وإدريس مجرد حلقة صغيرة فى مسلسل تردى حضارة بأكملها" ص٣٢١. تخشى على الثورات العربية فى تونس ومصر من أن تختطفها التيارات الدينية مبينة الفرق بين الثورة الفرنسية التى سبقتها دعوات فلاسفة التنوير وثوراتنا العربية الباحثة عن الخبز. فإدريس أخو فاديا الذى يعيش فى باريس انخرط مع تلك الجماعات المتطرفة وعمل معها ولا يرى ضيرًا فى مهاجمة وتفجير المجتمع الكافر الذى يكرهه ويكره المسلمين راغبًا فى إعادة الحياة إلى القرون الوسطى – على حد وصف الكاتبة – مع ملاحظة هنا أن العصور الوسطى كانت بالنسبة للمسلمين أزهى عصور حضارتهم العلمية والإنسانية وعنها نقل الغرب حضارتهم كى يخرجوا من عصورهم الوسطى المرادفة للتخلف إلى عصر التنوير ثم الصناعة.

أما التابوه الثانى الذى تناقشه الرواية بشجاعة فهو المسألة السياسية فى المغرب داعية إلى الثورة على النظام الملكى هناك معتبرة إياه على لسان "آسية" هو السبب فى الفساد المستشرى فى المغرب، وإن كان لابد للملكية أن تبقى فيجب أن تكون ملكية دستورية تملك ولا تحكم.

أما عن تابوه الجنس والجسد فهو يعد محور الرواية بالأساس عن راقصات التعرى وعالم الملاهى الليلية وما يدور فيها من أحداث متنوعة وشخصيات من مختلف بلاد العالم، فحرية امتلاك الجسد والتصرف فيه هو العنصر الأكثر فاعلية وهو الذى يفرق ما بين عالمين بلاد الشرق والعالم الغربي، كما تصور الرواية مشاهد جنسية قريبة من الأدب الأيروسي، والأيروتيكية "EROTIC" ويقصد بها المثير للشهوة الجنسية وكذلك ومنها EROTICISM ويقصد بها إثارة الشهوة الجنسية، فإذا كانت الراقصات عملهن قائم فى الملهى "استريبتيز" على إثارة الشهوة بأجسادهن، فالكاتبة ترسم ذلك بكلماتها داخل النص. فالثورة ونسف القيم الشرقية ركيزة أساسية داخل النص تدعو إلى الحرية السياسية ورفض الأنظمة الديكتاتورية، تدعو إلى الحرية الكاملة للجسد والحرية الجنسية ورفض الحكم على شرف المرأة من خلال غشاء البكارة، تدعو إلى رفض العادات والتقاليد المقيدة لحرية الإنسان...إلخ وتتبع كل هذه الأفكار من أيديولوجيا الساردة المعادية لكل القيم الشرقية داعية إلى نسفها وإحلال الثقافة الغربية محلها.

الاغتراب

ويعد الاغتراب بصوره المختلفة واحد من أكثر العناصر حضورًا فى رواية "الراقصات لا يدخلن الجنة" الاغتراب المكانى والنفسى والاجتماعى والجسدى والاقتصادى والسياسي، سلسة من الاغترابات تغرق فيها شخصيات الرواية "آسية" منذ طفولتها تشعر بالاغتراب عن المحيط المغربى الذى تعيش فيه، فانخرطت فى الأدب الفرنسى وكرست حياتها للقيم الفرنسية فإن كانت تحيا فى المغرب فإن روحها تعيش وترفرف فى فرنسا إلى أن نجحت أخيرًا أن تلحق بروحها وتمكنت من القدوم إلى فرنسا بحب وشغف شديد مؤمنة بكل تقاليدها وفلسفتها رافضة وملقية وراء ظهرها ما جاءت به من أفكار من عالمها القديم.

أما أيقونة الاغتراب بصوره المختلفة فكانت "فاديا" تعيش فى باريس لكن فى أسوأ أحيائها على الإطلاق، صورة مناقضة تمامًا لباريس، ثنائية ضدية بين مجتمع متحرر وآخر يعيش فى عصر مختلف. ينظر إليها فى باريس على أنها عربية مسلمة متخلفة وفى المغرب على أنها منحلة تتلقى فى المنزل تعاليم دينية صارمة تحثها على الطهارة والبعد عن الدنس فيما هى تعمل فى مجال بعيد كل البعد عن فكرة الطهارة، تعانى من انقسام شديد وتشظ عنيف "كانت فاديا دائما مسكونة بالذنب اتجاه عملها، كانت تعيش بشكل مؤلم صراع الدنس والطهارة فهى تريد أن تكون ربة بيت صالحة فى المستقبل، بل ترغب فى أن تصلى وتصوم وترتدى الحجاب. تشعر بالاغتراب من جسدها منذ اعتدى عليها والدها جنسيًا وهددها إن أخبرت أحدًا، وحين عملت فى المرقص كانت تمنح جسدها من أجل المال شاعرة أن هذا الجسد لا ينتمى إليها، ومن أجل مواجهة اغترابها النفسى الشديد أغرقت فى شرب المخدرات حتى جاءت نهايتها على يديه وماتت بجرعة زائدة، فالرواية ترسم فاديا بصورة الفتاة البريئة التى لم ترحمها باريس كانت تنظر إليها ولكل من هم عرب وأفارقة نظرة عنصرية عانت منها حتى من قبل المدرسين، عانت من الفقر الشديد، ومن التربية الدينية الصارمة، عانت فى عملها فى البار كانت كل أحلامها أن تعيش فى بيت له سور أبيض وحديقة تعتنى بها كالبيوت التى تراها فى باريس وتمنع من دخولها، حياة مأسوية كاملة عاشتها انتهت بموتها المفجع صغيرة فى السن نتيجة للضربات التى لم تحملها روحها الغضة فى مجتمع مادى لا يرحم الضعفاء.

وفى الأخير فإن رواية "الراقصات لا يدخلن الجنة" غنية بالتفاصيل والموضوعات تكشف الهوة الثقافية ما بين الشرق والغرب، توضح الوجه المادى لباريس الذى لا يرحم والوجه الرومانسى منها، تناقش جدوى الأخلاق وأهميتها، العنصرية التى يعانى منها العرب هناك، النظم الرسمالية والمجتمعات الاستهلاكية والشركات متعدة الجنسيات وتحول الإنسان إلى سلعة، المساواة بين الرجل والمرأة غير المتحققة فى الغرب بشكل كامل، أهمية التحرر الاقتصادى للمرأة، والصراع بين الروح والمادة...إلخ وإن غلبت عليها أيديولوجيا قريبة من آراء المؤلفة نفسها فى الحياة المعلن عنها، التى تحبذ النسق الغربى بصوره الثلاثة الاجتماعية والسياسية والعلمية على النسق الشرقى بكل ما فيه.

د. عبدالكريم الحجراوي